انماط الشكل الحضري وبعض المشاكل الاجتماعية التي ارتبطت بها لمشاريع سكنية متعددة الطوابق في بريطانيا والخليج

د. فيصل حميد* و د. محمد عرعر* و د. عماد مشتهى*

خلاصة

اشتمل التوسع الحضري الكبير لمدن الخليج في العقد الاخير على مشاريع سكنية متعددة الطوابق وتميزت بعض تصاميم هذه المشاريع بأصناف من الشكل الحضري "الغير تقليدي" مشابهة الاصناف مشاريع سكنية بنيت في بريطانيا خصوصاً و اوروبا عموماً في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية. وتشير الادبيات المختصة الى ان هذه الاصناف من الشكل الحضري لهذه المشاريع البريطانية ارتبطت بعدد من المشاكل الاجتماعية التي عانى منها الساكنين مثل تلك المتعلقة بصحة الاطفال و الامهات وكبار السن، او على تصرفات الاطفال والمراهقين اللا اجتماعية وبعض انواع الجريمة. ويهدف البحث الى تحديد انماط الشكل الحضري في السياق البريطاني، و توثيق بعض الادبيات في ما يتعلق بالمشاكل الاجتماعية التي ارتبطت بمشاريع الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية في بريطانيا، و اجراء دراسة موقعية استكشافية اولية لمدى تكرر هذه المشاكل الاجتماعية في المشاريع الخليجية المشابهة في شكلها الحضري للمشاريع التي بنيت في اوروبا في تلك الفترة. الاستنتاجات التي توصل اليها البحث تبين ان بعضاً من المشاكل الاجتماعية التي امكن رصدها كمشكلة التصرفات اللا اجتماعية للأطفال والمراهقين، يتكرر حدوثها في المشاريع السكنية الخليجية وبشكل مشابه لما حدث في المشاريع الاوروبية، ويوصي البحث بضرورة اجراء بحوث معمقة في هذا الموضوع ويقدم البحث بعض الاساليب العلاجية والتوصيات التي يمكن ان تساعد في تجنب المشاكل الاجتماعية في المشاريع الخليجية.

الكلمات المرشدة: الشكل الحضري، المشاكل الاجتماعية، المدن البريطانية، مدن الخليج

Urban Form Types and Some Related Social Problems of Multi-storey Housing in Britain and the Gulf

Abstract

The urban expansion of the Gulf cities included many multi-storey housing projects of urban form types similar to those built in Britain during the post Second Wold War period of reconstruction. According to the literature, these types of urban form are associated with a number of social problems in relation to the health of some residents, anti-social behaviour of some youngsters, and some types of crime. The aim of this research is to identify the types of urban form in the context of the British built environment and to conduct a pilot study to investigate the presence of social problems in Gulf housing projects which encompass urban forms similar to those built in Britain during the post Second Wold War period. The conclusion is that some social problems can be traced in some of the projects inspected in the study. The study suggest further in depth research to determine the extent of such social problems and suggest design some guidance for new projects in order to avoid such problems.

* جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا - الامارات العربية المتحدة

1- المقدمة

الدمار الذي حل بأوروبا بسبب الحرب العالمية الثانية أجبر الجهات المعنية في هذه الدول على إيجاد حلول لتوفير اكبر كمية من المساكن بأسرع وقت ممكن وبأرخص التكاليف. ففي بريطانيا مثلاً دمر القصف الألماني نصف مليون وحدة سكنية اضافةً لمئات الألوف من الوحدات السكنية الأخرى التي ساءت حالتها خلال سنين الحرب وسنين الانحطاط الاقتصادي التي سبقت الحرب. معظم هذه المساكن هي لذوي الدخول المتوسطة والمحدودة والذين لا يمكنهم إيجاد بدائل للمساكن التي فقدوها او أصبحت غير صالحة للسكن.

وجد المعنيون بالإسكان بأفكار الحركة الحديثة في العمارة وبالذات بفكرة الأبنية السكنية العالية المصممة بأشكال حضرية جديدة لا تلتزم بالأشكال الحضرية التقليدية للمدن ما يحقق لهم حلاً سريعاً واقتصادياً لازمة السكن الخانقة التي واجهتهم (انظر شكل 1). إضافة لذلك فهذه الأبنية العالية تحد من التوسع الأفقي للمدن والذي يتم على حساب الأراضي الزراعية المنتجة المحيطة بالمدن وبكلف عالية. فالسكن المتعدد الطوابق يوفر أعداد كبيرة من الوحدات السكنية وباستخدام أقل مساحة ممكنة من الأراضي محققاً فائدة اقتصادية حيث ثمن الأراضي يمثل جزءاً مهماً من كلفة المساكن. بذلك أصبح ممكناً إسكان مئات الآلاف من العائلات التي فقدت مساكنها خلال الحرب او تسكن في أبنية غير صالح للسكن. في تلك المرحلة من البناء الهائل التي تلت الحرب العالمية الثانية بني في أوروبا آلاف المشاريع السكنية الكثيفة والتي تشتمل على سكن شققي متعدد الطوابق.

لقد كانت الآمال المعقودة على الإسكان العالي كبيرة في تلك الفترة من القرن الماضي حيث وقتها لم تتبين بعد المشاكل الاجتماعية التي نتجت عن السكن في هذه النوع من الأبنية وبالخصوص بين ذوي الدخول المتوسطة والمحدودة. فمثلاً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الستينات بني في بريطانيا آلاف الابنية السكنية متعددة الطوابق يتراوح ارتفاعها بين ستة طوابق وإلى ثلاثين طابقا، إضافة إلى آلاف أخرى اقل ارتفاعا، وبتمويل من الحكومة المركزية او من الحكومات المحلية [5] .

لن يجد الدارس صعوبة في الاستنتاج بان غالبية المشاريع الجديدة في منطقة الخليج مصممة على فكر الحركة الحديثة في العمارة بشكل ابنية شققية عالية وفي الغالب محاطة بمواقف السيارات وفضاءات خضراء غير محددة الاستعمال وانفصال الابنية عن بعضها البعض وبشكل مشابه للأشكال الحضرية "اللا تقليدية" لتلك المشاريع الكبرى في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية في بريطانيا و مختلف الدول الاوروبية والمبني على أفكار الحركة الحديثة في العمارة والتي اشرنا اليها اعلاه. ولكي نستعرض الاصناف الرئيسية للأشكال الحضرية "اللا تقليدية" وخصائصها علينا اولاً استعراض الأشكال الحضرية "التقليدية" وخصائصها لفهم الفروقات التي ميزت الأشكال التقليدية.

2- الانماط الرئيسية و الخصائص المشتركة للأشكال الحضرية التقليدية للابنية السكنية المتعددة الطوابق في بريطانيا

لقد اثبتت الأشكال الحضرية "التقليدية" نجاحها ومرونةً للتكيف عبر الزمن للمتطلبات الجديدة للحيات الحضرية. والأشكال الحضرية "التقليدية" التي نشير اليها في هذا البحث هي ليست تلك التي نجدها في مدن العصور القديمة ولكن المقصود هي الأشكال التي انتشرت بشكل واسع في مختلف المدن الاوروبية والعالم عموماً و المكونة من شوارع تحيط قطاعات Blocks وكل قطاع مقسم الى قطع ارض Plots يبنى عليها مبنى او اكثر تصطف على امتداد الشوارع و عادةً ما تكون قطع الارض محاطة بأسوار او مؤشرة الحدود بوضوح. وفي بريطانيا مثلاً نجد ان الأشكال الحضرية التقليدية والتي بنيت في فترة ازدهار الامبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر لا زالت مستخدمة وامكن تأهيلها لمتطلبات العصر المختلفة. وكرد فعل للمشاكل الاجتماعية التي ارتبطت بالأشكال الحضرية "اللا تقليدية" والتي سنشير اليها لاحقاً، فنجد ان هناك العديد من ادبيات التصميم الحضري في اوروبا و امريكا تدعو الى العودة لاستخدام و تطوير هذه الاصناف من الأشكال الحضرية التقليدية المجربة حيث وجد فيها خصائص اجتماعية و محيطية ايجابية. [3] [7]

ويصنف هذا البحث الحضرية التقليدية الرئيسية للأبنية السكنية المتعددة الطوابق في والتي تنتشر في المدن البريطانية (انظر شكل 2) الى ثلاث اصناف رئيسية:

2-1 الشكل الحضري ذو القطع المسورة: الشوارع تحيط قطاعات Blocks الحي السكني وكل قطاع مقسم الى قطع ارض Plots تصطف على امتداد الشوارع وبني عليها مباني البيوت او
البيوت الكبيرة التي تم توسيعها و تحديثها كشقق سكنية او مباني شقق سكنية جديدة متعددة الطابق، وتحاط كل بناية بحديقة او ارض مبلطة و عادةً ما تكون قطع الارض مسورة او مؤشرة الحدود بوضوح.

2-2 الشكل الحضري المتصل والشبه المتصل: مشابه للشكل الحضري 1 اعلاه مع اختلاف وهو ان مباني البيوت او المباني متعددة الطابق تبنى بشكل متصل وتصطف على امتداد الشوارع ويكون لكل مبنى حديقة او باحة خلفية واخرى امامية، و تكون الباحات عادةً محاطة بأسوار او مؤشرة الحدود بوضوح. وعموماً تكون الابنية قريبة جداً من الشارع او بدون باحة امامية بحيث يكون مدخل الابنية مباشرةً من الشارع. كذلك هناك الشكل الشبه متصل حيث يكون كل بنايتين او ثلاث متصلتين ويفصلهما فراغ عن الابنية الاخرى.

2-3 الشكل الحضري المتصل المتنوع الاستخدامات: مشابه للشكل الحضري 2 اعلاه مع اختلاف وهو ان مباني البيوت او المباني متعددة الطوابق تصطف على حدود الشارع او رصيف الشارع ويكون لكل مبنى حديقة او باحة خلفية فقط، وكثيراً ما يحتوي الطابق الارضي على استخدامات تجارية متنوعة تعلوها وحدات سكنية وقد تبرز اجزاء من الطوابق العلوية فوق الشارع او الرصيف.

و قطاعات المدن التقليدية كثيراً ما تحتوي على خليط من الاصناف المشار اليها اعلاه وتوضح الصور في (شكل 2) امثلة لهذه الاصناف التقليدية.

مما سبق نستطيع ان نحدد ثلاثة خصائص مشتركة تميز هذه الأشكال الحضرية التقليدية المشار ايها اعلاه:

- وضوح الفضاءات العامة والخاصة و وضوح قطاعات المناطق السكنية Blocks حيث الشوارع تحيط بالقطاعات وتصطف الابنية على امتداد الشوارع.
- المقياس الانساني لارتفاعات الابنية.
- تعدد وتداخل الاستخدامات المختلفة للأبنية.

3- الانماط الرئيسية و الخصائص المشتركة للأشكال الحضرية "اللا تقليدية" للمشاريع السكنية المتعددة الطوابق في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية في بريطانيا

يصنف هذا البحث الأشكال الحضرية "اللا تقليدية" لتلك المشاريع الكبرى في بريطانيا في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية والتي اشتملت على ابنية شققية متعددة الطوابق الى صنفين رئيسيين من هذه الأشكال و يوضح (شكل 3) نماذج تخطيطية لهذين الصنفين وهي:

3-1 الشكل الحضري الجزافي: حيث المنطقة السكنية تشتمل على أبنية شققية والتي تكون بشكل ابراج او ابنية متوسطة الارتفاع واحياناً تختلط مع مجاميع لبيوت وكلها منتشرة جزافاً بمسافات فاصلة ومحاطة بحدائق او مناطق مبلطة غير واضحة الملكية و تتخللها مواقف السيارات وبعض ابنية خدمات كغرف جمع القمامة وغرف المحولات الكهربائية. وقد تكون الابنية الشققية مصطفة على امتداد شبكة شوارع حيث تبدو للوهلة الاولى مشابهة للأشكال الحضرية للمدن التقليدية ولكن نضرة فاحصة يتبين انها تتميز بخصائص الشكل الجزافي.

3-2 الشكل الحضري ذو المنصة: يتكون هذا الشكل من بناء يمتد على معظم او كامل مساحة ارض المشروع وبشكل منصة مكونة من طابق او عدة طوابق حيث ترتفع الابنية السكنية فوقها والتي قد تشمل ابنية ابراج او ابنية متوسطة الارتفاع واحياناً تشتمل على بيوت. ويكون سطح المنصة مستخدماً كفضاء عام او حدائق لاستخدام الساكنين اضافةً

للخدمات التي قد توجد على هذا السطح. و قد تحتوي المنصة على مواقف السيارات او وحدات سكنية كما تتوفر احياناً بعض الخدمات الترفيهية و المحلات التجارية والتي اما تكون في المنصة او على سطح المنصة أي بمستوى الابنية. بعض نماذج الشكل الحضري ذو المنصة تشتمل على عدة منصات تحت الابنية السكنية ومرتبطة بجسور بمستويات مختلفة. وهذا الشكل الحضري يتميز عادةً بخاصية اخرى هي تعدد المداخل والمخارج للمجمع السكني.

بعض المشاريع تحتوي على خليط من الصنفين المشار اليهما وقد تحتوي احياناً على مجاميع لبيوت متصلة وموزعة جزافاً بين الابنية الشققية المتعددة الطوابق، و (الشكل) 3 يوضح نماذج لهذين الصنفين في مدن بريطانية.

مما سبق نستطيع ان نحدد ثلاثة خصائص مشتركة تميز هذين الشكلين الحضريين:

- منظومة الشوارع والقطاعات Blocks والأمكنة العامة غير واضحة الحدود حيث كثيراً ما تحاط الابنية بمواقف سيارات مع عدم وضوح حدود الفضاءات العامة والخاصة حول الابنية.
- ازدياد ارتفاعات وحجوم الابنية و افتقاد المقياس الانساني الذي نجده في الأشكال الحضرية التقليدية، مع تعدد المداخل والمخارج وخصوصاً في الابنية السكنية الكبيرة المرتبطة بجسور او بمنصات.
- احادية الاستخدامات حيث ان معظم هذه المشاريع مخصصة للسكن مع بعض الخدمات المحدودة كمحلات البقالة وذلك على النقيض من الأشكال الحضرية في المدن التقليدية والتي تميزت بتنوع وتقارب الاستخدامات السكنية والثقافية والتجارية والاعمال المختلفة.

4- المشاكل الاجتماعية التي ارتبطت بمشاريع فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في بريطانيا وعلاقتها بالشكل الحضري

في هذا القسم سندرس بالخصوص الادبيات التي تشير الى التجربة البريطانية. والمشاكل الاجتماعية التي ارتبطت بالسكن الشققي المرتفع بدأت مع بدايات هذا النوع من السكن. ففي بريطانيا ما لبثت هذه الأبنية ان سكنت حتى بدأت الكثير من التقارير والبحوث تتهم هذا النوع من السكن بالتسبب في الكثير من المشاكل الاجتماعية والأسرية لدى بعض الشرائح الاجتماعية من السكان من ذوي الدخول المتوسطة والمحدودة. كانت المشاكل الصحية لدى بعض الأطفال والأمهات وكبار السن ومشاكل التصرفات اللا اجتماعية والعدوانية لدى بعض المراهقين هي من أهم المشاكل التي أثيرت. كذلك اتهمت هذه الابنية بالتسبب بانحطاط العلاقات الاجتماعية والجوارية لهذه الشرائح السكاني، و التسبب بزيادة بعض انواع الجريمة.

في أواخر السبعينات وخلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي أصبحت مثل هذه المشاريع في اوروبا وفي معظم الدول الغربية تعتبر مشكلة إسكانية وليس حلاً لمشكلة اسكانية. لقد تم في بريطانيا مثلاً ومنذ الثمانينات والتسعينات هدم او إعادة تأهيل الكثير من أبنية السكن الشققي المتوسط و العالي والتي بنيت خلال الخمسينات والستينات والسبعينات. اعادة التأهيل هي عملية تغيير استخدامات الابنية اعتمدت على دراسة كل بناية يراد اعادة تأهيلها و لتعامل حسب معطياتها من موقع وظروف اجتماعية لمحيطها. فالكثير من الابراج العالية تم هدمها (شكل 4) ولم يمر على بنائها بحدود عقدين الى ثلاثة عقود من الزمن، ليحل محلها ابنية سكنية بأشكال حضرية مستنبطة من الأشكال التقليدية. اما الابراج السكنية ذات المواقع المتميزة لقيمتها الاقتصادية الجيدة فأعيد تأهيلها لاستخدامات أخرى كأبنية مكاتب او أبنية سكنية لغير المتزوجين او الطلبة. كما ان بعضها حورت لتناسب سكن ذوي الدخول العالية الذين يرغبون بالسكن المتعدد الطوابق قرب مراكز المدن او لتوفير مسكن ثاني داخل المدينة اضافة لبيوتهم خارج المدينة. و استعرضت (دنكان Duncan) عدد من مشاريع اعادة تأهيل الأبنية الشققية العالية والتي اشتملت في بعض الحالات على تحسين الأمكنة العامة حول المباني السكنية التي يعاد تأهيلها وبشكل يستطيع السكان استعمال هذه الامكنة. في حالات اخرى تم هدم الطوابق العليا من بعض المباني لتحويلها إلى مبنى شققي منخفض الارتفاع او بيوت [9].

تشير الادبيات المختصة الى ان هناك ثلاثة عوامل ادت الى تفاقم المشاكل الاجتماعية التي ارتبطت بالمشاريع الاسكانية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في بريطانية وهي: اولاً – الشكل الحضري، و ثانياً – الخصائص الاجتماعية للساكنين، و ثالثاً – نضم ادارة الابنية السكنية (انظر شكل 5). ورغم ان هذا البحث معني بدراسة تأثير الشكل الحضري على المشاكل الاجتماعية، ولكن لابد من التطرق الى تأثير العوامل الاخرى في سياق توثيق الادبيات المتعلقة بالموضوع وفي سياق الدراسة الاستكشافية الموقعية.

و ادناه مراجعة لأهم هذه المشاكل الاجتماعية التي ارتبطت بالمشاريع الاسكانية التي انشأت في بريطانيا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كما وردت في الادبيات المختصة:

4-1 مشكلة التصرفات اللا اجتماعية للأطفال والمراهقين وبعض انواع الجريمة: اهم المشاكل الاجتماعية التي نسبت إلى السكن الشققي المرتفع هي التصرفات اللا اجتماعية للأطفال والمراهقين (انضر شكل 6 و 7)، كذلك بعض أنواع الجريمة. منذ بداية انتشار هذا النوع من السكن في الدولة الغربية في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، ظهرت الكثير من التقارير الرسمية والمقالات الصحفية التي أشارت إلى ازدياد هذه المشاكل في محيط السكن الشققي المرتفع وطرحت عدة نظريات للعلاقة السببية التي تربط هذا النوع من السكن بتلك المشاكل. و رغم تعدد النظريات إلا انها تشير بشكل مباشر او غير مباشر الى ارتباط المشاكل الاجتماعية المشار اليها ببعض خصائص الشكل الحضري "اللا تقليدي" لمجمعات الأبنية الشققية. فالمشاكل تتكرر في الفضاءات غير الواضحة الملكية والبعيدة عن مراقبة الساكنين مثل الفضاءات حول الابنية وفوق المنصات وفي وفي مآرب السيارات. [2] [6] [17] [8] [13] [1] [11]

من اهم الادبيات في السياق البريطاني حول أسباب هذه المشاكل هو كتابات (كولمان Coleman) [8] وخصوصا كتابها (Utopia on Trial) اذ ربطت هذه الباحثة المشاكل الاجتماعية بحجم و ارتفاعات الابنية في مشاريع السكن العالي الكبيرة حيث ارتئت ان مثل هذا الأشكال الحضرية قد تشكل محيطاً حضرياً "مجهول الهوية" Anonymous Environment او مجهول الملكية إذا ما قورن بالاشكال الحضرية التقليدية. النظرية تدعي بان الاشكال الحضرية التقليدية المكون من شوارع محاطة بالأبنية و البيوت توفر شعور الانتماء لدى الساكن لمسكنه وذلك لشعوره بوضوح موقع وشكل مسكنه وانتمائه له كجزء من المحيط الذي يعيشون فيه. كذلك وضوح بقية المساكن ووضوح انتمائها وملكيتها لذا يتولد لديهم شعور بالانتماء لذلك المحيط السكني حيث يشكلون جزءً واضحاً منه. أما محيط السكن العالي اللاتقليدي فهو فاقد لهذا الفهم للهوية او الملكية، فالسكن العالي مثلاً لا يمثل شكلاً بنائياً يوحي بالملكية وشعور بالانتماء حسب هذه النظرية، وكنتيجة لهذا الشعور فأن بعض المراهقين والأطفال يلجئون إلى هذه التصرفات اللا اجتماعية وبعض البالغين إلى الجريمة وذلك للتعبير عن عدم رضاهم عن محيطهم السكني. وقد تأثر (كولمان) بكتابات (نيومان Newman) في السياق الامريكي حيث كان هو اكثر من روج لهذه النظرية وخصوصا من خلال البحث الذي قدمه في كتابه (Defensible Space) والذي درس فيه بعض انواع الجريمة في مجمعات سكنية في مدينة نيويورك [16]. وقد ايدت الباحثة (كولمان) ما توصل اليه نيومان واضافت إحصائيات تفصيلية توضح ازدياد مختلف المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها ساكني المشاريع الاسكانية ذات الأشكال اللا تقليدية، وخصوصاً تلك التي تميزت بالارتفاعات العالية واتساع الفضاءات العامة حول الابنية والمنصات و الجسور الرابطة بين الابنية و المداخل المتعددة و مواقف السيارات المنزوية. و هذه الخصائص نظر اليها كعوامل ساندة للتصرفات اللا اجتماعية وبعض انواع الجريمة لكونها تضعف مراقبة الساكنين لمحيطهم وتسهل دخول الغرباء وحركتهم.

و رغم ان هذه البحوث قدمت احصائيات تؤكد زيادة في التصرفات اللا اجتماعية والجريمة في محيط السكن الشققي العالي والمصمم بأشكال حضرية "لا تقليدية"، لكن النظريات المقدمة لتفسير العلاقة السببية لا تفسر حدوث نسبة ولو منخفضة من هذه المشاكل في محيط الأشكال الحضرية التقليدية المكونة من شوارع محاطة ببيوت. وذلك يعني ان هناك مسببات

(او خصائص) اخرى اكثر شمولاً والتي تتواجد في الأشكال الحضرية "اللا تقليدية" و "التقليدية" ولكن بنسب مختلفة، كما انها لم تبحث تأثير العوامل المتعلقة بالخصائص الاجتماعية للساكنين ونضم ادارة الابنية السكنية بشكل معمق. وهذه الملاحظة الاخيرة تشير الى ان هناك حاجة لبحوث اوسع واعمق في هذا الموضوع لتحديد هذه العوامل وتقديم نظرية اشمل.

2-4 مشكلة زيادة نسبة بعض الأمراض بين السكان: الدراسات التي بحثت العلاقة بين السكن الشققي وزيادة نسبة بعض الأمراض بين السكان تحدد سبباً رئيسياً لهذه المشاكل هو العزلة الاجتماعية الناتجة عن طبيعة تصاميم المشاريع السكنية العالية وتأثيرها على شرائح اجتماعية معينة مثل ربات البيوت والأطفال وكبار السن، وخصوصا من ذوي الدخول المتوسطة والمحدودة.

و البحوث التي تتناول هذه المشكلة بدأت منذ انتشار الابنية الشققية المرتفعة في الستينات من القرن الماضي [10] [4] [19] [14] و من البحوث التي كان لها صداُ كبير هو بحث الطبيب البريطاني (فاننك Fanning) اذ و جد ان نسب الأمراض المتعلقة بالجهاز التنفسي وبالخصوص لدى الأطفال تزيد بإضعاف لدى سكان الشقق عند مقارنتهم بسكان البيوت. كما وجد ان نسبة الأمراض النفسية لدى ربات البيوت تزيد بنسبة كبيرة لدى سكان الشقق وأكثر من ذلك وجد أنه ضمن سكان الشقق تزداد نسبة مراجعيه لمثل هذه الأمراض ضمن سكان الطوابق العليا أكثر من سكان الطوابق السفلى [10]. لتفسير العلاقة السببية فقد طرح (فاننك) وعدة باحثين من بعده، نظرية العزلة الناتجة عن الارتفاع هي السبب لتفسير العلاقة بين هذه الأمراض والسكن الشققي العالي. النظرية تشير إلى ان السكن الشققي العالي لا يشجع ربات البيوت وكبار السن على الخروج والتواصل حيث ان الخروج يتطلب المرور بالمسالك الداخلية لبناية ومن ثم استخدام المصعد والمرور بباحة المدخل للخروج إلى الخارج حيث الفضاءات خارج البناية عادةً تكون مواقف سيارات وطرق وفضاءات مفتوحة.

النتائج التي توصل إليها (فاننك) تم تأكيدها في عدة بحوث من أبرزها بحث (بون Bone) الذي وجد ان الأطفال من سكان البيوت يمضون ساعات كثيرة باللعب في خارج بيوتهم أكثر بكثير من سكان الشقق. إضافة لذلك وجد الباحث بأنه كلما ارتفعت الشقة عن الأرض كلما قل الوقت الذي يقضيه الأطفال خارجها [4]. دراسات اخرى استعرضت مشاكل اخرى متعلقة بحياة العائلات ذات الاطفال في الشقق المرتفعة مثل انخفاض العلاقات اجتماعية بالنسبة للأمهات، والأصدقاء بالنسبة للأطفال.

الدراسات التي أشير إليها أعلاه تمت في مجمعات سكنية لذوي الدخول المتوسطة والمحدودة. بعض الدراسات اشارت إلى عدم ازدياد هذه المشاكل لدى ذوي الدخول المرتفعة من سكان الشقق عند مقارنتهم بسكان البيوت. تفسّر هذه الدراسات التأثير الايجابي الناتج عن ارتفاع مستوى الدخل مشيرةً إلى ان شقق ذوي الدخول المرتفعة عادةً ما تكون واسعة، اضافتً إلى توفر الامكانات المادية لاستخدام خدم المنازل والاشتراك في النوادي الاجتماعية والسفر خلال العطلات. كل ذلك قد يعوض الاطفال والأمهات وكبار السن عن العزلة التي يشعر بها ذوي الدخول المتوسطة والمحدودة.

دراسات اخرى تشير إلى ارتباط مشاكل صحية اخرى بالسكن العالي حيث يبين (محجوبي Mahdjoubi) إلى ان السكن الشققي يرتبط بأمراض ازدادت في الفترة الاخيرة في بريطانيا مثل امراض السكري بين الاطفال. العلاقة السببية تعزى إلى ارتباط هذه الامراض بأسلوب الحياة الشققية الذي تحدثنا عنه حيث يقضي الاطفال معظم اوقاتهم داخل الشقق وانخفاض فرص الخروج واللعب. هذه الحالة ناتجة عن أسباب متعددة كتلك التي اشرنا إليها وأهمها عزوف الاهل من ترك الاطفال يلعبون وحدهم في المناطق المحيطة في الأبنية الشققية لسوء تصميم هذه المنطق ولعدم توفر مناطق اللعب المناسبة [14].

3-4 مشكلة الحلقة المفرغة (Vicious Circle) : حدوث أي من المشاكل الاجتماعية أعلاه في محيط المجمعات السكنية الكثيفة عادةً يكون بداية لمشكلة اكبر وهي ما يدعى في الأدبيات المتعلقة بدراسة المحيط الحضري بمشكلة الحلقة المفرغة. في بريطانيا ومنذ السبعينات من القرن الماضي كتب العديد من الدارسين عن نشوء هذه المشكلة وفي مختلف وسائل الاعلام كالصحف اليومية والمجلات المهنية [5] [2] [15] [12] و التي اكدت ان هذه هي المشكلة تتسبب في مضاعفة المشاكل الاجتماعية وتؤدي في النهاية إلى انحدار المجمع السكني او البناية الشققية نحو هاوية الفشل.

تطور مشكلة الحلقة المفرغة (انظر شكل 8): عندما تبدأ المشاكل في مجمع سكني او بناية شققية ولأي من الأسباب المشار إليها أعلاه، فان تلك البناية او المجمع سيكتسب سمعة سيئة. في السياق البريطاني قد يكتب عن هذه المشاكل في الصحف المحلية فيما اذا كانت متعلقة بتصرفات مسيئة او جرائم، وذلك سيزيد من السمعة السيئة، وقد تكون مصحوبة بتدني منظر البناية او المجمع السكني بسبب التخريب المتعمد كالرسوم والكتابات المسيئة على الجدران.

كنتيجة لذلك فان الساكنين الذين لديهم فرصة لتغيير سكنهم يفعلون. هؤلاء عادةً يكونون الاحسن حضاً واعلى دخلاً. الساكنين الذين يقبلون ان يأخذوا مكانهم هم اولئك الذين لا يهمهم سوء السمعة او تدهور المحيط البنائي لحاجتهم الماسة للمسكن. المجمع السكني او البناية تصبح مركزاً للمهاجرين الجدد والسكن متعدد العائلات او المزدحم للعزاب أو العائلات ذات العدد الكبير من الاطفال والدخل المنخفض مما يزيد من حدوث هذه المشاكل. قيمة الايجار تبدأ بالانخفاض مما يدفع المالك او الادارة التي تدير مثل هذه المجمعات إلى اهمال القيام بالصيانة اللازمة لعدم توفر واردات كافية. تستمر هذه الحلقة المفرغة لتصبح البناية او المجمع السكني خرباً ومرتعاً لأفقر طبقات المجتمع واقلهم حضاً ويؤدي بالمكان ليصبح بؤرة للفقر والجريمة.

من الطبيعي ان توجد هذه الشرائح الاجتماعية منتشرة كجزء من المجتمع ولكن تركز نسبة عالية من الطبقات الدنيا من هذه الشرائح في مجمعات سكنية او ابنية هي بالأساس تعاني من المشاكل ومن سوء التصميم يساهم في مضاعفة هذه المشاكل. ذلك يجعل هذه الاجزاء من المدينة لان تصبح معازل اجتماعية او (غيتو Ghetto) والتي تبدأ بالتأثير على المناطق المحيطة بها ايضاً.

تأثير مشكلة الحلقة المفرغة يظهر بعد فترة طويلة تعد بالسنين من التغيير السكاني المتتالي. هذه المشكلة مرت بها الكثير من البنايات الشققية والمجمعات السكنية والتي بنيت في أوروبا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. امثلة لهذه المجمعات هي تلك التي هدمت في بريطانيا خلال الثمانينات والتسعينات من القرن السابق، او تلك المجمعات والضواحي السكنية المحيطة بباريس والتي يسكنها اقل الطبقات في الهرم الاجتماعي الفرنسي من المهاجرين الجدد والعاطلين عن العمل والتي تشكل مشكلة اجتماعية وأمنية.

كتاب ودارسين كثيرين اقترحوا حلولاً لهذه المشكلة فمثلاً (ولسون Wilson) درست هذه المشكلة وأوضحت الارتباط بين سوء التصميم وممارسات ادارات مثل هذه المجمعات السكنية في عدم الاهتمام بالصيانة والإسراع بإصلاح أي أعمال تخريب متعمد وسياسة تأجير قد تساعد في تفاقم المشكلة. الحل بحسب (ولسون) هو الادارة المكثفة واستشارة السكان فيما يتعلق بأمور الادارة والصيانة وسياسة التأجير [20]. اضافة لذلك يرى (وارد Ward) وآخرين ان الحل الوحيد والأمثل للمشاكل الاجتماعية المرتبطة بمجمعات السكن الشققي الكثيف وما يتبعها من مشكلة الحلقة المفرغة إنما يكمن تغيير انظمة ادارة الابنية السكنية وذلك في تشجيع السكان على إدارة مجمعاتهم السكنية بأنفسهم من خلال جمعيات تعاونية. الافتراض الذي يقدمه (وارد) هو ان السكان سيشعرون بالمسئولية مما يدفعهم إلى الاهتمام ومراقبة محيطهم الحضري مما يقلل حوادث التخريب المتعمد او انواع الجريمة كالسرقات ويزيد العلاقات الاجتماعية بين السكان [18].

من أعلاه يتبين من ان معظم المشاكل الاجتماعية المرتبطة بالسكن العالي الكثافة تبدأ مسبباتها من التصميم. اذا كان المصمم يعي ما تعنيه قراراته وخطوطه من تأثيرات على حياة السكان، فان المشاكل الاجتماعية التي اشرنا إليها لن تنشأ

بالأساس. هذا يؤكد أهمية التصميم كمسبب وكمعالج للمشاكل الاجتماعية التي درست أعلاه، رغم ان عوامل مرافقة اخرى قد تزيد من تفاقمها، لكن يبقى التصميم هو العامل الفاعل في التسبب بهذه المشاكل.

5- دراسة استكشافية موقعية للمشاكل الاجتماعية في المشاريع الخليجية المشابهة في شكلها الحضري للمشاريع البريطانية

الاختلافات الثقافية يمكن ان يكون لها تأثير كبير على المشاكل الاجتماعية، و ليس هناك بحوث بخصوص تأثير السكن المرتفع والشكل الحضري "اللا تقليدي" في المدن الخليجية او الشرق الاوسط بشكل عام على مشاكل مثل تلك المتعلقة بصحة الاطفال و الامهات وكبار السن، او على تصرفات الاطفال والمراهقين اللا اجتماعية وبعض انواع الجريمة ومشكلة الحلقة المفرغة والتي اشير اليها اعلاه في دراسة المشاريع البريطانية، لكن هناك بعض المؤشرات التي يمكن رصدها بسهولة و التي تدل على وجود بعض هذه المشاكل مثل اعمال التخريب والتشويه للجدران والأمكنة العامة و التي يقوم بها الاطفال والمراهقين ومشكلة الحلقة المفرغة. هذه المشاكل يبدو انها تتكرر في مناطق سكنية او مشاريع مشابهة مشابه لأصناف تلك المشاريع التي انشأت في اوروبا في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية والتي اشرنا اليها اعلاه. وهذه الدراسة الاستكشافية هي دراسة اولية و ستركز على هذين المشكلتين. وهدف هذه الدراسة هو لتكوين اساساً لدراسات معمقة لاحقة في هذا الموضوع.

و لن يجد الدارس صعوبة في الاستنتاج بان غالبية المشاريع الجديدة في منطقة الخليج مصممة على فكر الحركة الحديثة في العمارة بشكل ابنية شققية عالية وفي الغالب محاطة بمواقف السيارات وفضاءات خضراء غير محددة الاستعمال وانفصال الابنية عن بعضها البعض وبشكل مشابه للأشكال الحضرية "اللا تقليدية" لتلك المشاريع الكبرى في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية في مختلف الدول الاوروبية وتحديداً الشكل الحضري الجزافي و الشكل الحضري ذو المنصة.

قام البحث بزيارات موقعية لعدة مشاريع سكنية لرصد المشاكل المشار اليها وتصوير بعض ظواهرها واجراء مقابلات مع ادارات الابنية السكنية.

5-1 مشاهدات اولية حول مدى تكرار مشكلة تخريب وتشويه الجدران والأمكنة العامة: لوحظ تكرر هذه المشكلة حول بعض ابنية السكن الشققي العالي ويبدو ان الأسباب تتعلق بالشكل الحضري لهذه المناطق. ففي احد المشاريع ذات الشكل الحضري الجزافي لوحظ تركز ظاهرة تخريب وتشويه الجدران في الفضاءات العامة الغير واضحة الملكية والغير مراقبة من السكان وحول بعض شقق الطابق الارضي المهجورة (انظر شكل 9). وعند مقابلة المسؤولين الاداريين تبين ان هناك عامل اخر قد يؤثر على المشكلة حيث تبين ان هناك زيادة ملحوظة في نسبة الاطفال والمراهقين في بعض الابنية التي تضررت بشكل كبير جراء هذه المشكلة. ورغم ان المشاريع المصممة بشكل الشكل الحضري ذو المنصة هي جديدة في منطقة الخليج، ولكن هذه الدراسة الاستكشافية رصدت بدايات لهذه المشكلة. ففي احد المشاريع ذات المنصة لوحظ بعض اعمال تخريب وتشويه الجدران في فضاءات فوق المنصة وفي مواقف السيارات داخل المنصة (انظر شكل 10) رغم انه لم يمر على استكمال المشروع سنتين.

5-2 مشاهدات اولية حول مدى تكرار مشكلة الحلقة المفرغة: كذلك وجد البحث ان بعض مناطق السكن الشققي العالي القديمة نسبياً والتي تتركز فيها هذه المشكلة تبدو على انها تمر بمشكلة اضافية هي مشكلة الحلقة المفرغة التي تم توضيحها اعلاه. و من افادة المسؤولين الاداريين تبين ان هذه المناطق تتميز بانخفاض قيمة الايجارات عبر السنين و زيادة في إهمال الصيانة (انظر شكل 11). دراسة كاتبي هذا البحث تظهر ان هناك أسباب اخرى تتعلق بالشكل الحضري قد تكون ذات تأثير في هذا الصدد وهو كون هذه المناطق تفتقد للخدمات مثل مواقف السيارات الكافية والحدائق العامة وملاعب الاطفال، مما يجعل كل جزء من الفضاءات العامة بين الابنية وحتى الارصفة مستخدم كمواقف للسيارات. كما ان مراكز هذه الفضاءات العامة والتي تطل عليها ابنية عديدة غالباً ما تتوسطها غرف المحولات الكهربائية وتجميع

القمامة، مما يجعل المكان العام الوحيد المتوفر سيئ لدرجة بحيث لا يصلح لتواصل السكان وخطر للعب الأطفال، بل لا يصح كمنظر للشقق السكنية من حوله. وهذا قد يؤدي الى انتقال السكنين القادرين إلى مناطق أفضل من مثل هذا المحيط الحضري ليحل محلهم انواع معينة من المهاجرين الجدد والعائلات الكبيرة ذات الدخل المنخفض لتصبح المنطقة بازدياد مرتعاً للمشاكل الاجتماعية المركزة. مع مرور الزمن فهذا يؤدي إلى انخفاض قيمة الايجارات وإهمال الصيانة.

6- الاستنتاجات

الاستنتاجات التي توصل اليها البحث تبين ان بعضاً المشاكل الاجتماعية التي امكن رصدها وتحديداً مشكلة اعمال التخريب والتشويه للجدران والأمكنة العامة و التي يقوم بها الاطفال والمراهقين ومشكلة الحلقة المفرغة يتكرر حدوثها في المشاريع السكنية الخليجية وبشكل مشابه لما حدث في المشاريع الاوروبية. اما المشاكل الاخرى التي اشارت اليها الادبيات المختصة وهي مشكلة زيادة نسبة بعض الأمراض بين الاطفال والامهات وكبار السن ومشكلة زيادة بعض انواع الجريمة فان اي تقييم لإمكانية وجودها وحتى بشكل اولي يحتاج لموارد و دراسات اعمق من هذه الدراسة الاستكشافية. ويوصي البحث بضرورة اجراء بحوث اختبارية معمقة في هذا الخصوص وفي كل جوانب المشاكل الاجتماعية المشار ايها لتحري مسبباتها و مدى تكررها في المشاريع الخليجية و لتكون اساساً لقواعد تصميمية وتخطيطية للمشاريع السكنية.

الدروس التي يمكن استخلاصها من هذا اليحث هي ان الأبنية العالية قد تكون غير مناسبة لسكن نسبة عالية من العائلات من طبقات المجتمع من ذوي الدخول المتوسطة والمحدودة، لذا فيجب ان يكون هذا الخيار محدوداً في لهذه الشريحة الاجتماعية الواسعة. قد تكون للأبنية السكنية العالية دور في مراكز المدن لتوفير سكن للعائلات التي تختار هذا النوع من السكن من ذوي الدخول المرتفعة في ابنية خاصة لهذه الشريحة الاجتماعية او لسكن غير العائلات.

وبناءً على الدراسة الاستكشافية فيمكن الاستنتاج بشكل اولي وذلك لتجنب المشاكل الناتجة عن الشكل الحضري للمشاريع القائمة فالأمكنة العامة لهذه المشاريع يجب ان يعاد تخطيطها بطريقة بحيث تكون آمنة ومسيطرا عليها وذلك بتحديد الفضاءات العامة والخاصة حول الابنية بشكل واضح و تشجيع مراقبة السكان لهذه الفضاءات من خلال فتحات الوحدات السكنية وخصوصاً لمناطق لعب الاطفال والتي يفضل ان تكون خاصة بكل بناية او بأقل عدد ممكن من الأبنية وضمن موقع البناية الذي يجب ان يكون مسوراً وبمداخل خاصة بالساكنين فيها. من الحلول المناسبة لمشكلة الفضاءات حول الأبنية الشققية هو عدم ترك مساحات غير واضحة الاستعمال او الملكية وذلك بإلحاقها كحدائق لشقق الطوابق السفلى المخصصة للعائلات.

الدروس المشار إليها أعلاه يمكن تطبيقها في المشاريع الجديدة حيث يبدو انه من المفضل تجنب الأشكال الحضرية "اللا التقليدية" والعودة لدراسة الأشكال الحضرية "التقليدية" المجربة والتي تطورت عبر القرون و التعلم منها وتطويرها لتلبي حاجات جديدة ولكن بدون التفريط بخصائصها الايجابية.

المراجع

1- Anderson, I., Sim, D., (Editors), 2000, "**Social Exclusion and Housing"**, Chartered Institute of Housing.

2- Attenburrow, J., Murphy, A., and Simon, A., 1978, "**The Problems of some Large Authority Estates"**, Building Research Establishment, London.

3- Bentley, I., Alcock, A., Murrain, P., McGlynn, S. and Smith, G., 1985, "**Responsive Environments: A Manual for Designers"**, The Architectural Press.

4- Bone, M., 1977, "**Pre-School Children and the Need for Day Care"**, H.M.S.O.

5- Bullock, N., 2002, "**Building the Post-war World"**, Routledge.

6- Burbidge, M. 1981, "**Priority Estate Project 1981: Improving Problem Council Estates"**, Housing development Directorate, London.

7- Calthorpe, P., 1993, "**The Next American Metropolis"**, Princeton Architectural Press.

8- Coleman, A., 1995, "**Utopia on Trial:Vision and Reality in Planned Housing**", Hilary Shipman, London.
9- Duncan, S., "**Public Problems Private Solutions**", 1988, H.M.S.O., London.
10- Fanning, D., "**Families in Flats**", 1967, in: British Medical Journal, November 18, 1967.
11- Fazi, M, Hosseini, S., and Razzaghi, S., 2008, **"Identification of Environmental Design Methods and Techniques for Preventing Vandalism**", Iranian University of Science and Technology.
12- Godfery, P., 1977, "**Liverpool Learn to Live with Past Housing Mistake**", in: The Times, 13 October, 1977.
13- Hillier, B., & Shu, S., "**Crime and urban layout: the need for evidence**", In: Ballantyne, S. and MacLaren, V. and Pease, K., (Editors), 2000, "Secure foundations : key issues in crime prevention, crime Reduction and Community Safety", Institute for Public Policy Research, London.
14- Mahdjoubi, L., 2007, "**Healthy Active Living in Urban Environment**", in: Recent Architectural Development & Urban Growth in UAE, Symposium, Ajman University of Science and Technology.
15- Medway, J., 1973" **Letting the Unlettable**", in: Municipal Journal, 16 January,1973.
16- Newman, O. 1973, "**Defensible Space**", Architectural Press.
17- Power, A., 1982, **Priority Estates Project** 1982, DoE, London.
18- Ward, C., 1983, Housing: "**An Anarchist Approach**", Freedom Press, London.
19- William, B., 1991, "**Health Effects of Living in High-rise Flats**", International Journal of Environmental Health Research, March, 1991.
20- Wilson, S., 1977, "**Vandalism and Design**", in: AJ, 26 October, 1977.

شكل 1 -: مقترحات ليكوربوزيه لبناء ابراج سكنية لمركز مدينة باريس في العشرينيات من القرن العشرين هي مثال نموذجي لافكار الحركة الحديثة في العمارة في تصميم الشكل الحضري للمناطق السكنية

نماذج تخطيطية للأشكال الحضرية التقليدية الرئيسية للأبنية السكنية المتعددة الطوابق في بريطانيا	امثلة للأشكال الحضرية التقليدية الرئيسية للابنية السكنية المتعددة الطوابق في بريطانيا
1- الشكل الحضري ذو القطع المسورة 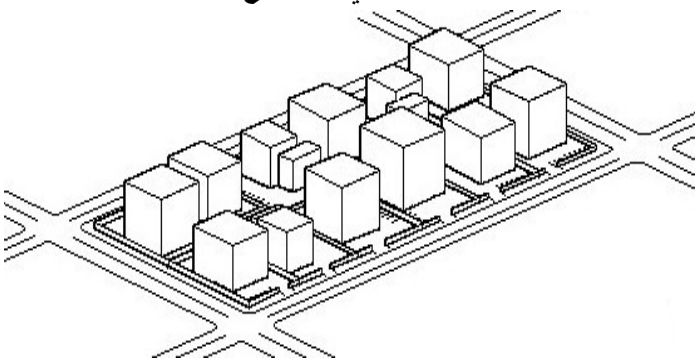	
2- الشكل الحضري المتصل 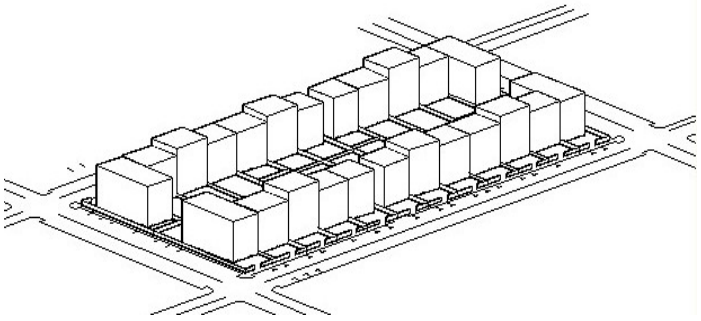	
3- الشكل الحضري المتصل المتعدد الاستخدامات 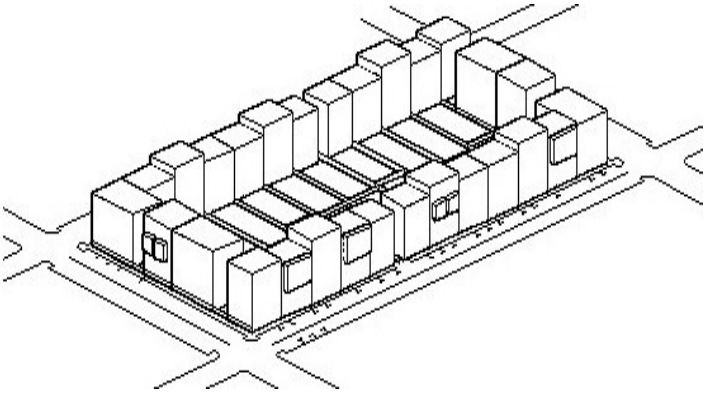	

شكل 2- نماذج تخطيطية وامثلة للأشكال الحضرية التقليدية الرئيسية للأبنية السكنية المتعددة الطوابق في بريطانيا

المصدر: الباحث

نماذج تخطيطية للأشكال الحضرية "اللا تقليدية" الرئيسية للأبنية السكنية المتعددة الطوابق في بريطانيا	امثلة للأشكال الحضرية "اللا تقليدية" الرئيسية للأبنية السكنية المتعددة الطوابق في بريطانيا
1- الشكل الحضري الجزافي 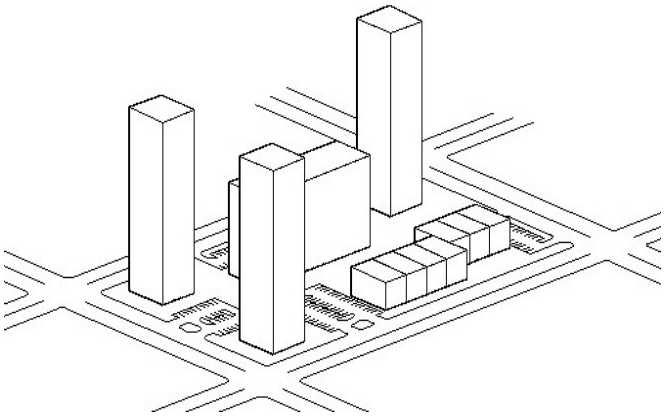	
2- شكل الحضري ذو المنصة 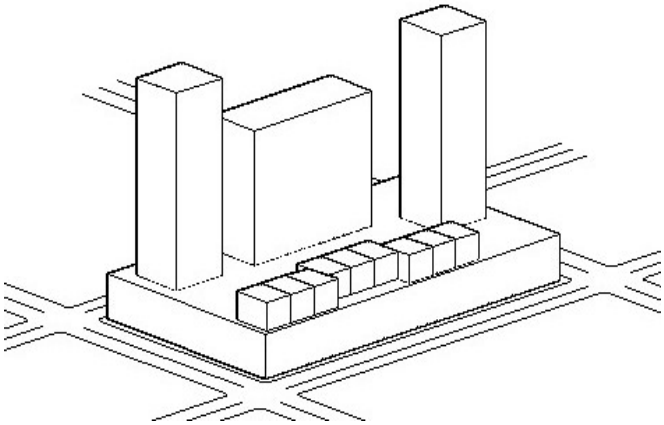	

شكل 3- نماذج تخطيطية وامثلة للأشكال الحضرية "اللا تقليدية" الرئيسية للابني السكنية المتعددة الطوابق في بريطانيا - المصدر: الباحث

شكل 4 – مثال لابنية بريطانية هدمها بعد فترة زمنية لم تتجاوز ثلاثة عقود على انشائها و مثال للابنية التي تحل محلها و بأشكال مستنبطة من الأشكال الحضرية التقليدية

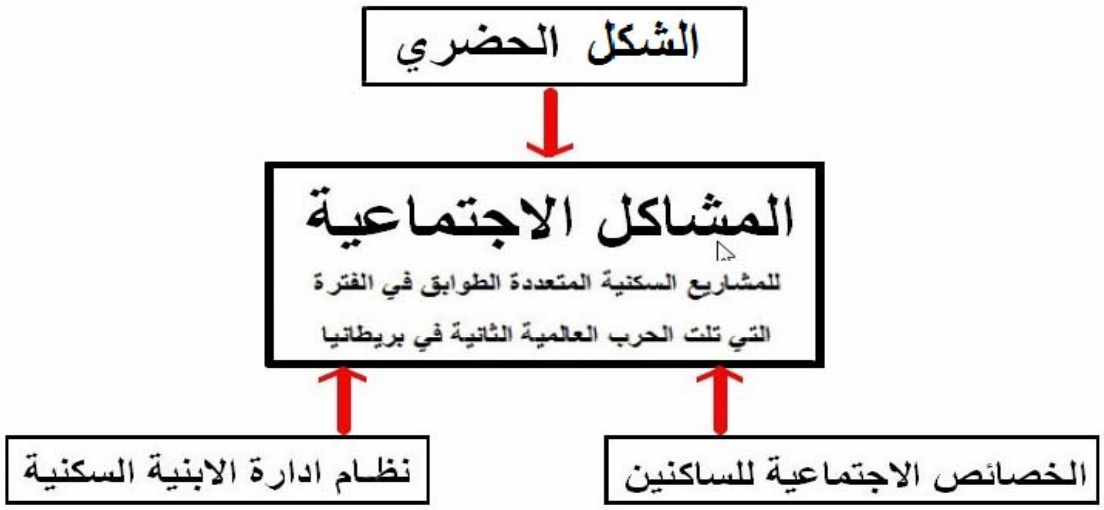

شكل 5 - العوامل المؤثرة على تفاقم المشاكل الاجتماعية في مشاريع فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في اوروبا وعلاقتها بالشكل الحضري - المصدر: الباحث

شكل 6- بعض نتائج التصرفات اللا اجتماعية للمراهقين في منطقة سكنية مصممة بشكل جزافي في مدينة اوكسفورد

شكل 7 – اعمال تخريب وتشويه للحوائط فوق المنصة وفي مواقف السيارات تحت النصة داخل مجمع سكني في مدينة لندن

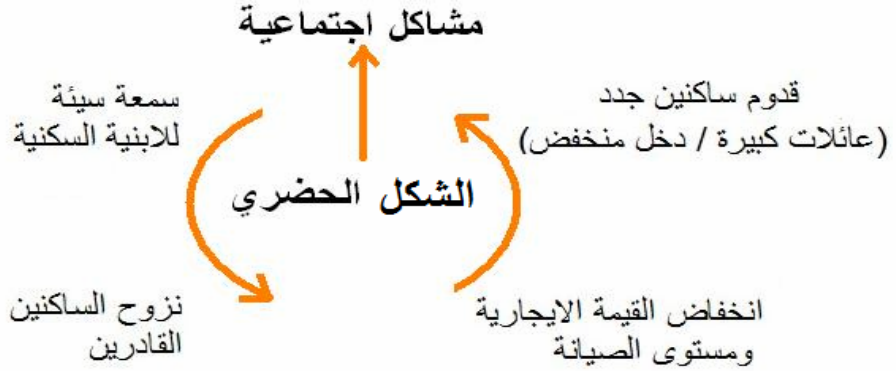

شكل 8- مخطط يوضح تطور مشكلة الحلقة المفرغة - المصدر: الباحث

شكل 9 – مشروع خليجي بشكل جزافي حيث تظهر بعض نتائج التصرفات اللا اجتماعية للمراهقين

شكل 10- مشروع خليجي حديث بشكل المنصة حيث تضهر بعض نتائج "بدايات" التصرفات اللا اجتماعية للمراهقين والتي تتركز في الاماكن الخافية عن مراقبة الساكنين و حول مواقف السيارات

شكل 11- منطقة سكن شققي عالي قديمة نسبياً حيث تتركز فيها مشكلة التصرفات اللا اجتماعية و تبدو على انها تمر كذلك بمشكلة الحلقة المفرغة اذ تتميز المنطقة بانخفاض قيمة الايجارات وإهمال واضح في الصيانة